٥٩- أضرار المعاصي وآثارها المدمرة على المجتمع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، ومن والاه. أما بعد:

فإن المعاصي لها آثار وأضرار مهلكة على المجتمع، وهي على النحو الآتي:

٥٠ - إهلاك الأمم بسبب المعاصي، ولاشك أن جميع الأضرار في الدنيا والآخرة تحصل بسبب المعاصي، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة، والنعيم، والبهجة، والسرور، إلى دار الآلام، والأحزان، والمصائب؟، وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدِّل بالقرب بُعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظّى، وبالإيمان كفراً؟، وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماءُ فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلّط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطّعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظّى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم: فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون، وداره، وماله، وأهله؟ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرَّها تدميراً؟ وما الذي أهلك قوم صاحب يس

بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟[(١)].

وما الذي مزق أهل سوريا، والعراق، وتونس، وليبيا، واليمن، وغيرها في هذه الأزمان، فدُمِّرت، مساكنُهم، وهُدِّمَت مطاراتُهم، ورُمِّلَت نساؤهم، ويُتِّمَ أطفالُهم، وانتُهكت الأعراض، وشُرِّدَ كثيرٌ منهم، وأُهْلِكت مَزارعُهم، وثمارُهم، ولاشك أن الذي أصاب هؤلاء جميعاً وأهلكهم هي ذنوبهم ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(٢)].

٥١ - إزالة النعم، فالمعاصي تزيل النعم بأنواعها؛ فإن شكر اللَّه على نعمه يزيدها، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾[(٣)]، ونعم اللَّه على عباده كثيرة لا تُحصى، كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٤)]، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[(٥)]، ومن النعم على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي: نعمة الإيمان، وهي أعظم النعم على الإطلاق، ونعمة المال والرزق الحلال، ونعمة الأولاد، ونعمة الأمن في الأوطان، ونعمة العافية في الأبدان[(٦)]، وهذه النعم وغيرها تزيد بالشكر، وتزول أو تنقص، أو لا يبارك فيها للعبد بالذنوب والمعاصي، والإعراض عن اللَّه ﷻ. قال اللَّه ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[(٧)].

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ص٨٤-٨٦ .
(٢) سورة العنكبوت: ٤٠.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧ .
(٤) سورة النحل، الآية: ١٨ .
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤ .
(٦) انظر: الجواب الكافي، ص١٤٢، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع ، ص١٤١-١٥٠ .
(٧) سورة الشورى، الآية: ٣٠ .

٥٢ – ومن خطر المعاصي نزول العقوبات العامة المهلكة، من ظهور الطاعون، ونزول الأوجاع التي لم تكن في الأسلاف الذين مضوا، والأخذ بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ومنع القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، وتسليط الأعداء، ويجعل الله بأسهم بينهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[(١)].

٥٣ - حلول الهزائم، فإن ذلك بأسباب المعاصي والإعراض عن دين الله عز وجل، كما أن من أسباب النصر الطاعة والإقبال على الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[(٣)]، وقال الله

---

(١) أخرجه ابن ماجه، برقم ٤٠١٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٤/٥٤٠، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/٣٧٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٥-٤٧ .

(٣) سورة غافر، الآية: ٥١ .

ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٢)]، وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[(٣)]، فالأخذ بهذه الأسباب من أعظم أسباب النصر، وتركها من أعظم أسباب حلول الهزائم والخسارة في الدنيا والآخرة[(٤)].

٥٤ - المعاصي مواريث الأمم الظالمة، فليحذر المسلم أن يرث المعاصي عن الظالمين، فإن اللوطية: ميراث عن قوم لوط، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص: ميراث عن قوم شعيب، والعلو في الأرض بالفساد: ميراث عن قوم فرعون، والتكبر والتجبر: ميراث عن قوم هود، وغير ذلك، فالعاصي لابس ثياب هذه الأمم، وهم أعداء الله ﷻ[(٥)].

٥٥ - المعاصي تؤثر حتى على الدوابّ، والأشجار، والأرض وعلى المخلوقات.

٥٦ - تسبب عذاب القبر، وعذاب يوم القيامة، وعذاب النار، نعوذ بالله من ذلك[(٦)].

ولا شك أن النجاة من أضرار المعاصي قد بيّنها الله تعالى، وأرشد إليها رسول الله ﷺ، وستأتي إن شاء الله تعالى أسباب السلامة والنجاة من شرور المعاصي في المقال الثامن الآتي، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧ .
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠ .
(٣) سورة محمد، الآيتان: ٧-٨ .
(٤) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع ، ص١٥٣-١٥٤ .
(٥) انظر: الجواب الكافي ، ص١١١ .
(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٢٠-١٢٤، والمعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، ص١٦٤-٢٢٢.